

الزهریات فی الشعر الأندلسی عصر الطوائف والمرابطین (دراسة موضوعیة فنیة)

إعداد

المدرس المساعد

نضال مهدي العقابی

المستخلص

هذا البحث بعنوان (الزهريات في الشعر الاندلسي "عصر الطوائف والمرابطين" (دراسة موضوعية فنية)، فالزهريات من الموضوعات التي حظيت بعناية شعراء الاندلس، فدخلت في معظم موضوعاتهم الشعرية من (مدح، وغزل، وثناء، وعتاب)، فكثيرا ما كان يمزج الشاعر بين محاسن المرأة والزهريات فيرى شعراء الاندلس في الزهريات ملامحاً لحبيب أو صفات لممدوح، فكان اهتمام الاندلسيين بها كبيرا، فوصفوا انواعها والوانها، فنلاحظ أن شعراء الاندلس فاقوا شعراء المشرق بتنوع هذه المادة وغزارتها.

أما الدراسة الفنية فتضمنت اللغة الشعرية التي اتسمت برقة الالفاظ وسلاسة التراكيب التي تبعث في النفس رقة وعذوبة.

أما على مستوى الصورة الشعرية يكشف الشاعر علاقات لغوية جديدة لتشكيل الصورة الفنية عمادها الفاظ الطبيعة (الازهار) فجاءت تلك الصور تعبيراً صادقا لمشاعر الاندلسيين وهم يصفون الزهريات.

كما كان لموسيقى الشعر اهمية خاصة وكبيرة في شعر الزهريات فقد نظموا في معظم بحور الشعر العربي ولكن غلب على نظمهم ثلاثة بحور هي (الطويل، والكامل، والبسيط).

وبالنسبة إلى القوافي فقد كانت القافية المطلقة هي القافية الاكثر استخداما في شعر الزهريات.

فضلا عن الموسيقى الداخلية من تكرار وتقفية مما اضى عليها تناغما جميلا يتناسب مع موضوع الزهريات.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الصادق الامين محمد (صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحبة المنتجبين).

شغل موضوع الزهريات بكل انواعها مساحة واسعة من الشعر الاندلسي، يكاد يكون من بين الاغراض الاكثر حظاً في ذلك، ولاشك ان ذلك يعزى الى طبيعة هذا الموضوع الذي كان يوليه الشعراء الاندلسيون اهمية قصوى، لبيان جمال بيئتهم، وتفوقهم في هذا الشعر على شعراء المشرق.

والذي يدرس هذه الحقبة يدرك مقدار الاثر الحضاري الذي تخلف لدى شعراء هذه المرحلة، بحيث طبعت اثاره فيهم، من خلال نتاجهم الشعري، فقد تزايد الحديث عن الزهريات وانواعها حتى اصبح شعرهم مرآة تعكس جمال بيئتهم.

وقد شمل البحث بعد المقدمة على تمهيد ومبحثين، تضمن التمهيد شعر الطبيعة في الاندلس والتعرف على جذوره وما طرأ عليه من تطور ابتداءً من العصر الجاهلي الى العصر العباسي ووصولاً الى العصر الاندلسي.

تناول المبحث الاول دراسة الزهريات وانواعها من (أقحوان، والخيري، والنيلوفر، والنجس، والياسمين، والبهار، والشقيق، والبنفسج، والسوسن).

اما المبحث الثاني فهو الدراسة الفنية، فتضمن (اللغة والاسلوب، والصورة الشعرية، والموسيقى الشعرية)، ولأن قوام الشعر هو اللغة عرضت له في بداية الدراسة، ثم عرضت للصورة الشعرية وما تمثله من علاقات

بيانية من تشبيهه، واستعارة، وكناية، ثم الموسيقى الشعرية، التي شملت الاوزان والقوافي التي اكثر الشعراء استخدامها في شعر الزهريات.

اما الخاتمة فقد تمخضت عن اهم النتائج التي توصل اليها البحث.

التمهيد

شعر الطبيعة في الاندلس

شعر الطبيعة قديم النشأة، اذ له جذور في الشعر الجاهلي، فأخذ الشاعر يتأمل الطبيعة من حوله فوقف على الاطلال ووصف الصحراء، والرمال، والنجوم، والحيوانات...، فجاء وصف الطبيعة الحية والصامته في ثنايا قصائد المديح والغزل وغيرها من الفنون.

واستمر الشعراء على هذا النهج الى ظهور بواذر الحضارة التي بلغت اوجها في العصر العباسي، فقد تطور شعر الطبيعة نتيجة الترف والحياة اللاهية، فوصف الشعراء العباسيون تلك الحياة المترفة من قصور، ورياض، وازهار، فرسموا لنا صوراً شعرية جميلة، ومن اشهر هؤلاء الشعراء (ابي تمام، البحتري، ابن الرومي، ابن المعتز).

اما الاندلس فقد حباها الله بطبيعة غناء ذات بهاء وسحر حيث الرياض الجميلة والمروج الخضر فهي "شبه جزيرة يحيط بها البحر من جهات ثلاث، وطبيعة موقعها في اقصى نقطة وصلت اليها الفتوحات الاسلامية غرباً"^(١)، لذا فتن بها الشعراء وصاغوا ابياتهم درراً تملأ النفوس بهجة وسروراً، وكان من بواعث شعر الطبيعة عندهم هي الطبيعة الجميلة من جبال، وسهول، ورياض، وانهار، وهذا ما دفع ابن خفاجة الى وصفها بانها دار الخلد بمائها، وظلها، وانهارها، واشجارها، اذ يقول:-

يا هـل انـدلس! لله دركـم؟
ماء وظل وانهار واشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم
ولو تخيرت هذا كنت اختار
لا تختشوا، بعد ذا، ان تدخلوا سقراً،
فليس تدخل، بعد الجنة، النار^(٢)

كما ان حياة الترف التي كان يعيشها الاندلسيون لها تأثير واضح على ازدهار شعر الطبيعة، فهذا الاهتمام بوصف الطبيعة دليل على تغلغلها في حياة الاندلسي وعظيم اثرها فيه، فدخلت في كافة اغراضه الشعرية من مديح، وغزل، ورتاء، وهجاء، ووصف، ولا يكاد يخلو ديوان شاعر منها، لقد كانت معيماً ثراً وعنصراً سياسياً في الشعر الاندلسي ولاسيما في عصر الطوائف والمرابطين، حيث كان عصراً متأثراً بالبيئة اكثر من غيرها، وكان لا بد لهذه البيئة ان تكون باعثاً لوصف الزهريات.

والزهريات او (الازهار) بما تحمله من قيمة (بصرية/جمالية) كانت من ابرز عناصر الطبيعة التي اثارت تأملات الشعراء، وفتحت لهم الافاق الرحبة امام قصائدهم للخروج عن النمط التقليدي، والانفتاح على موضوعات جديدة وصارت قصائدهم تضم الكثير من المفردات المتعلقة بالازهار بكل عناصرها الكونية

(١) الفتن والحروب واثرها في الشعر الاندلسي من سقوط الخلافة الى سقوط غرناطة، د. جمعة شيخة، ١٦٩/٣، المطبعة المغربية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٧.

(٢) ديوان ابن خفاجة، ١١٣، تحقيق د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت.

والشكلية، وبدأ الشاعر الأندلسي ينتقي المفردة المرتبطة بالازهار لينقلها من واقعها الطبيعي الى الفضاء الشعري مما منح القصيدة مسحة رومانسية زادت الشعر الأندلسي رقة وعذوبة.

المبحث الاول

الزهریات وانواعها

الزهریات من الموضوعات التي استأثرت باهتمام الشعراء الأندلسيين عصر الطوائف والمرابطين، وتأتي أهميتها من ارتباطها بالتعبير عن المشاعر الانسانية الصادقة، والاحاسيس الوجدانية السامية.

لذا دأب الشعراء الأندلسيون على التغني بوصف مباحج الطبيعة من رياض وازهار، وللشعراء الأندلسيين في الزهریات بانواعها المختلفة صور شعرية بديعة تظهر تأثرهم الكبير بالبيئة من حولهم، وهي ناتجة عن تأثرهم القوي بالبيئة التي تبدو عليها سمة الجمال بشكل واضح جداً.

وكثيرة تلك القصائد المتضمنة (وصف الزهریات) والمعبرة عن تعلق شعراء الأندلس في هذا العصر بالطبيعة وافتنانهم بها، مصورين جمال بيئتهم من رياض وما تحويه من زهور، وورود، فكان اهتمام الأندلسيين بها كبيراً ودقيقاً اذ اهتموا بانواعها والوانها حتى بلغت ذروة هذا الاهتمام بتأليف كتاب (البدیع في وصف الربيع) لحبيب الحميري، اذ قام بوصف الربيع وانواع الزهور من (السوسن، والياسمين، والنيلوفر، والاقحوان، والنهار وغيرها)، كان هدفه من تأليف هذا الكتاب هو جمع اشعار اهل بلده واطهار تفوق الأندلسيين على اهل المشرق في هذا الباب لغزارة المادة على الرغم من قصر المدة التي قيلت فيه (١).

فالشاعر في وصفه للزهریات يعبر عما يحس به من مشاعر واحاسيس والتي يضيف عليها مسحة جمالية، ولاسيما قصائد الغزل والمديح، فيستمد الشاعر صور ممدوحه من الزهریات، فعلى سبيل المثال نجد التطور الدلالي على مستوى الصورة الفنية عندما يدخل (الورد) طرفاً في الصورة التشبيهية في ابیات المدح، كما نقرأ في هذا البيت لابن زيدون وهو يمدح ابا الوليد بن جهور، فيصف اخلاقه العالية بزهرة متفتحة أو كأنها لؤلؤ أو كالندى الذي يتساقط على الأوراق صباحاً:-

زهـرت اخلاقكم فابتسمت كابتسام الورد عن لؤلؤ ظل (٢)

ان مثل هذا النوع من الصور التشبيهية يجبر القارئ على التوقف وتأمل الصورة واستنتاج العلاقة بين طرفي الصورة (اخلاق الممدوح) و(ابتسام الورد عن لؤلؤ ظل)، هذه العلاقة التي لا يمكن الوصول اليها الا عبر التأمل وتأويل العلاقة بين طرفي التشبيه (المعنوي) اخلاق الممدوح و(الحسي) ضحكة الورد التي لا يمكن ان تلتقي الا عبر جسر من الخيال.

وفي موضع آخر يمدح المعتمد بن عباد بقوله:-

تضحك الازمن عن عليا كما ضحك الروضة عن ثغر الزهر (٣)

(١) ينظر: الادب العربي في الأندلس (تطوره موضوعاته واشهر اعلامه)، د. علي محمد سلامة، ٩٢، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٨٩.

(٢) ديوان ابن زيدون، ١٣٦، تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨.

(٣) ديوان ابن زيدون: ٢٧٠.

يشيد الشاعر بالمكانة المرموقة التي حازها المعتمد بن عباد فالازمنة ضاحكة مستبشرة عن علو قدره، كما يضحك الروض عندما تتبسم الازهار.

كما ان الشاعر الاندلسي يتألم ويحزن عندما يرى باقة ذابلة، كما في قول ابن حمديس:-

ياباقة في يميني للردى بدلت
اذاب قلبي عليك الحزن والاسف
الم تكوني لتاج الحسن جوهرة
لما عرفت فهلا صانك الصدف^(١)

قارن الشاعر بين باقة الورد الذابلة والجوهرة، اذ تحيط الاوراق بالزهرة كما يحيط الصدف بالجوهرة ليحميها من المؤثرات الخارجية، الا ان الاوراق لم تتمكن من حماية الزهرة من الذبول على العكس من صون الصدف للجوهرة. اما ابن الزقاق فقد وصف حال الممدوح:-

وينو الزمان وان بدا ملق بهم
لاغرو انك قد نشأت خلالهم
اضغانهم كالجمر تحت رماد
قد ينبت النوار بين قتاد^(٢)

وتسعف (الطبيعة) ابن الزقاق في (حسن التعليل) ليبين حالة الممدوح بين قومه مما يضيف على الصورة الشعرية بعداً جمالياً لم توح به من جانب بصري يقوم على (تفرد) الممدوح على الرغم من وجوده بين اقاربه فعلى الرغم من انهم جميعهم يشتركون في بيئة واحدة الا ان "النوار" لا يشبه "القتاد" بطبيعة الحال.

ومن اشهر انواع الزهريات التي حظيت باهتمام شعراء الاندلس هي:-

١. الاقحوان: - هو زهر اوراقه مفلجة تشبه بها الاسنان، وجاء ذكره في معظم دواوين الشعراء الاندلسيين، منها قول ابن حمديس وهو يصف اسنان محبوبته وهي تتبسم متألئة كزهرة الاقحوان يصلها ضوء الشمس:-

كأنما تبسم ان مازحتها
كأقحوان روضة يصفله
عن برد بين بروق لمع
مدوس شمس في الندى المميع^(٣)
وفي موضع آخر:-

وطيبة الانفاس تحسب وصلها
تفتح ورد الخد في غصن قدها
ومن واصلته جنة المتنعم
ونور فيه اقحوان التبسم^(٤)

يرسم الشاعر صورة جميلة لمحبوبته فيصفها بانه طيبة الانفاس فهي جنة المتنعم، فيشبه خدها بورد متفتح وابتسامتها بزهرة الاقحوان تنتشر عطرها. اما ابن خفاجة فيصفها بقوله:-

وروضة طلقة حياء،
ينجاب عن نورها كمام،
غناء مخضرة جنابا
يحط عن وجهه، نقابا

(١) ديوان ابن حمديس، ٣١٥، تحقيق د. احسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٠.

(٢) ديوان ابن الزقاق البننسي، ١٤٨، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤.

(٣) ديوان ابن حمديس، ٣٠١.

(٤) المصدر نفسه، ٤٠٧.

بات بها مبسم الاقحاحي يرشف، من ظلها، رضاها (١)
اضاف الشاعر الى ابياته عنصر التشخيص، مما جعلها نابضة بالحياة والحركة، فهو هنا يصف روضة
ضاحكة مخضرة مملوءة بالازهار، فذكر جمالها وهي تخرج من اكمامها مشرقة.

٢. الخيري:- وهو اكثر انواع الزهريات شيوعاً في الشعر الاندلسي، ولا يكاد يخلو منها عصر ولا ديوان
شاعر، فقد وصفها ابن خفاجة في مقطوعة، اذ يقول:-

وخيرية، بين النسيم وبينها، حديث اذا جن الظلام، يطيب
لها نفس يسري، مع الليل، عاطر، كأن له سرّاً، هناك، يريب
يدب مع الامساء، حتى كأنما له، خلف استار الظلام، حبيب
ويخفى مع الاصبح، حتى كأنما يظل عليه، للصبح، رقيب (٢)

يبدع الشاعر في وصفه لزهرة الخيري، حينما يضيف عليها عنصر التشخيص، فجعل من النسيم والخيري
حبيبين يلتقيان ليلاً خلسة كي لا يراهما احد وعندما تبدأ تباشير الصباح بالظهور يفر هارباً خشية الرقباء.
ووصفها ابن الزقاق بقوله:-

وقد حان مني للرياض التفاتة حبست بها كأسى قليلاً عن الساقى
على سطح خيري ذكرك فانثى يميل باعناق وبرزو باحداق
فصل زهرات منه هذا كأنها وقد خضلت قطراً محاجر عشاق (٣)

يمزج الشاعر بين الطبيعة والخمريات، فيصف الرياض ومجالس الشرب، فعندما رأى زهرة الخيري ذكر
محبوبه فانثى يميل باعناق وينظر بمؤخر العين فيرى الزهرات وقد سقط عليها المطر، فكانها محاجر عشاق
تقبض دمعاً لفراق الحبيب.

٣. النيلوفر:- فهو (نبات مائي ينبت في الانهار والمناطق له زهر ابيض يشبه السوسن وسطه زعفراني
اللون وهو اسم فارسي)^(٤)، نال اهتمام الشاعر الاندلسي، فابن حمديس وصفه بقوله:-

اشرب على بركة نيلوفر محمرة النوار خضراء
كأنما ازهارها اخرجت أسنة النار من الماء (٥)

مزج الشاعر بين وصف الطبيعة وشرب الخمر ومجالس اللهو والطرب، فوصف بركة في احد القصور،
وقد احتوت على ازهار النيلوفر الحمراء، والخضراء فكانما ازهارها اخرجت السنة النار من الماء.
وقال في وصفه ايضاً:-

كأنما النيلوفر المجتوى وقد بدا للعين فوق البنان

(١) ديوان ابن خفاجة، ٢٨-٢٩.

(٢) ديوان ابن خفاجة، ٣٩.

(٣) ديوان ابن الزقاق، ٢٩٦.

(٤) الادب العربي في الاندلس، د. علي محمد سلامة، ٩٧.

(٥) ديوان ابن حمديس، ٥.

مداهن الياقوت محمودة
وهنا يبدع الشاعر في تصويره للنيلوفر المقطوف، فشبهه وهو بيد المحبوب كالياقوت الحمراء التي كتب عليها شعراً من الزعفران، فاح عطره.

اما ابن زيدون فقال يذكر ولادة ويتشوق اليها:-

ورد تألق في ضاحي منابته
سرى ينافحه نيلوفر عبق
فازداد منه الضحى في العين اشراقا
وسنان نيه منه الصبح احداقا (٢)

اجاد الشاعر في مزج عواطفه بالطبيعة، وذلك من خلال تصويره الدقيق لاحاسيسه في لحظتين من لحظات حياته وهي (اللقاء والفرق)، ففي فرحه ولقائه بحبيبته تتسم الطبيعة له فتتمثل في ابتسام الروض، وطرب الزهر، وتألق الورد، واشراق الضحى، اما لحظات حزنه وفراقه، فحتى الزهر يشاركه في بكائه بدمع منهمر، ونعاس النيلوفر، وهذه كلها صور تبعث في النفس الآسى والحزن العميق.

٤. النرجس:- حظي باهتمام شعراء الاندلس، فابعدوا في وصفه، فهذا احمد البلمي الاشبيلي يقول:-

اما ترى النرجس الغض الذكي بدا
او المحب اشتكى لما اضر به
كانه عاشق ذابت ذوائبه
فرط السقام فعادته حبايبه (٣)

لقد صور الشاعر زهرة النرجس بعاشق ولهان اسقمه الحب واضناه، فاصفر لونه.
وقال ابن عمار يتغزل:-

رشا يرنو بنرجسه ويعطو
تشير الى قرطاه وتصغى
بسوسان ويبسم عن اقاح
خلاخله الى نغم الوشاح (٤)

اتجه الشاعر في غزله الى الطبيعة، ليستمد منها صور محبوبته فهي غزال عيونه نرجس وعطره سوسن وثغره اقاح. وله في اخرى:-

يسعى بكأس من انامل سوسن
يصف الشاعر غلام يسقي الخمر، فيضيف انامله بزهرة السوسن، وعينه كزهرة النرجس.
ويدير اخرى من محاجر نرجس (٥)

اما ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاشبيلي، يرسم صورة جميلة لزهرة النرجس، إذ يقول:-

والروض يبرز في قلائد لؤلؤ
لا تعدم الاحاظ كيف تصرفت
والارض ترفل في غلائل سندس
وجنات ورد او لواظ نرجس (٦)

(١) ديوان ابن حميدس: ٤٩٠.

(٢) ديوان ابن زيدون، ٥١.

(٣) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، ٢١٤/١/٢، تحقيق د. احسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس.

(٤) محمد بن عمار، ٢٥٢، د. صلاح خالص، مطبعة الهدى، بغداد، ١٩٥٧.

(٥) محمد بن عمار، ٢٩٧.

(٦) ديوان الحكيم ابي الصلت امية بن عبد العزيز الداني، ٨٦، تحقيق محمد المرزوقي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ١٩٧٩.

ان جمال الطبيعة بقيت عالقة في ذهن الشاعر، حينما اخذ ينبه غلامه ويزجره، فاتجه الى الطبيعة بكل ما فيها من مباحج، فشبه الرياض بقلائد من لؤلؤ، وارض ترفل في غلائل سندس ونور يشرق بحبات الندى ووجنات ورد ولواظ نرجس، وهي من الصور الجميلة.

٥. الياسمين:- نال اهتمام شعراء الاندلس، فالمعتمد بن عباد وصف حسن منظره بقوله:-

وياسمين حسن المنظر يفوق في المرأى وفي المخبر
كأنه من فوق اغصانه دراهم في مطرف اخضر^(١)

اعتمد الشاعر في وصفه على المظهر الخارجي لزهرة الياسمين فصور حسن منظره الذي فاق كل جمال حتى كانه فوق اغصانه دراهم منثورة على ثوب اخضر. وقوله ايضاً:-

كأنما ياسمين الغرض كواكب في السماء تبيض
والطرق الحمر في جوانبه كخد حسناء مسه العض^(٢)

تمكن الشاعر من رسم صورة مشرقة تتناسب مع مكانته، اذ شبه الياسمين بالكواكب في السماء لامعة، وشبه الطرق الحمر في جوانبه بخد فتاة جميلة اصابه ما اصابه من اثار.

٦. الشقيق:- فهو زهر احمر اللون، غالباً ما يوصف به الخد، فعني شعراء الاندلس به عناية فائقة، فهذا

ابن حمديس يمدح احمد بن عبد العزيز، اذ يقول:-

ومباسماً تجلو شقائق روضة للاقحوانة بينها نوار^(٣)

اعتمد الشاعر على مرتكزات مادية عززت مكانة ممدوحه وزادته جمالاً، فوظف الافكار والالفاظ لخدمة فكرته وهي ابراز جمال ثغر ممدوحه الذي شبهه بالشقيق لحرمةه وبلاقحوان لرائحته الذكية يتخلله النوار الابيض كناية عن بياض اسنانه، وهذا ما حاول الشعراء ان يسبغوه على ممدوحهم، كصفة من الصفات الاساسية في عالم المحسوسات الذي كان له دور كبير في اظهار جمال ممدوحه.

٧. البنفسج:- حظي البنفسج باهتمام شعراء الاندلس، ومنهم ابن الزقاق وهو يمدح ابا زكريا يحيى بن علي:-

ارض منمنمة وظل سجسج وصباً بأنفاس الرُبي تتأرجح
ومذانب زرق النطاف ترف في وجناتهن شقائق وبنفسج^(٤)

يذكر الشاعر طبيعته الغناء، حيث الارض الجميلة وظل لا ظلمة فيه ولا شمس، فيصف الشاعر قطرات الماء بالزرقة لشدة صفائها، والمملوءة بالازهار من شقائق وبنفسج. وقول ابن خفاجة:-

ومهب نفحة روضة مطلولة، في جاهتيها، للنسيم، مجال
غازلتها، والاقحوانة مبسم والآس صدغ، والبنفسج خال^(٥)

(١) ديوان المعتمد بن عباد، ٧٢، تحقيق احمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٥١.

(٢) المصدر نفسه، ٧٧.

(٣) ديوان ابن حمديس، ٢٥٨.

(٤) ديوان ابن الزقاق، ١١٥.

(٥) ديوان ابن خفاجة، ١٧٧.

يصف الروضة المخضلة بالندى، حيث النسيم العليل، حيث يشبه الشاعر الطبيعة بمحاسن المرأة، فزهرة الاقحوان ثغر جميل، والآس جانبي الوجه، اما زهرة البنفسج فهي خال يزين الوجه.

٨. السوسن:- وهو نوع اخر من الزهريات، التي تحتل مكانة مهمة في نفوس الشعراء في الاندلس، وذلك لما تحمله من قيمة جمالية، امتدت الشعراء بصور جميلة، من ذلك قول ابن خفاجة وهو يصف جارية، ويعدد محاسنها:-

تتوب، عن الحسناء، والدار، غربة،
تشير اليها كل راحة سوسن
فما شئت من لهو بها وتأنس
وتشخص فيها كل مقلة نرجس^(١)
يبدع الشاعر في تصوير محاسن جاريته، التي تبدو كزهرة السوسن، وعيونها كزهرة النرجس.

٩. البهار:- وهو من الانواع الاخرى للزهريات، التي عرفت برائحتها الذكية، كقول ابن زيدون:-
وهل انسى لديك نعيم عيش
وساعات يجول اللهو فيها
كوشي الخد طرز بالعدار؟
مجال الطل في حدق البهار^(٢)

يتذكر الشاعر الايام التي قضاها مع صديقه ابي عامر في عيش رغيد، حيث المروج الخضر، والرياض، والازهار، وهو يلهو ويمرح، ثم يشبه هذا النعيم بتزيين الخد عندما يظهر فيه العذار، ثم يذكر تلك الاوقات التي قضاها وهو يلهو فيها كقطرات الماء في عين نبات البهار الطيب الرائحة.

المبحث الثاني الدراسة الفنية

١ - اللغة والاسلوب:-

أولا وقبل كل شيء لا يمكن لأحد أن ينكر أن الشعر فن لغوي، وصوره الشعرية وإيقاعاته الموسيقية ما هي إلا حصيلة علاقات لغوية، فاللغة هي الوسيلة التي يستطيع الشاعر عن طريقها ان يعبر عما يشعر به من احساس وانفعالات، كما انها اداة الشاعر في خلق عوالمه الشعرية التي تتأثر بحركة الفكر والاحداث التي تمر بها الشعوب، فهي ليست مجرد الفاظ تحصى، بل هي عالم يحيا ويتحرك فاللغة (ليست مجرد مادة هامة كالحجر وانما هي ذاتها من ابداع الانسان، ولذلك فهي مشحونة بالتراث الثقافي لكل مجموعة لغوية)^(٣).

وعندما انتقل العرب الى الاندلس تطورت لغتهم ولاسيما لغة الشعر وكان من اهم مظاهر هذا التطور هو الميل الى الموضوعات الجديدة والمعاني الحضرية والاسلوب الحضري والنفور من الالفاظ الغريبة الوحشية الى الالفاظ المأنوسة الرقيقة والجنوح الى الفن وبراعة الاداء^(٤).

(١) المصدر نفسه، ١٣٦.

(٢) ديوان ابن زيدون، ٢٧٧.

(٣) نظرية الادب، اوستن وارين ورينيه ويلك، ٢٢، ترجمة: محيي الدين صبحي، مطبعة خالد الطرايبشي، ١٩٧٢.

(٤) ينظر: ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث، بطرس البستاني، ٣٨، دار المكشوف ودار الثقافة، ٦، بيروت، ١٩٦٨.

وكان على الشاعر ان يختار اللفظ المعبر الذي يتناسب مع المعنى او الغرض، فكل غرض الفاظ تتناسب من حيث الشدة او الرقة، وهذا ما اشار اليه ابن الاثير في قوله "فالجزل منها يستعمل في وصف مواقع الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف، واشباه ذلك، واما الرقيق منها فانه يستعمل في وصف الاشواق وذكر ايام البعاد، وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف، واشباه ذلك"^(١). لان المهم في لغة الشعر هو السياق الشعري لا الكلمة المفردة فالكلمة المفردة قد ترد في الشعر وترد في النثر وترد في الكلام العادي لكن ما يمنحها شعريتها وتفردتها هو السياق الشعري الذي ينقلها من افق الاستعمال العادي المألوف إلى افق الاستعمال الشعري المؤثر. من هنا ينبغي التحدث عن (السياق الشعري) الذي يحول الكلمة المفردة من كلمة ليس لها سوى معناها المعجمي إلى كلمة ذات طاقة دلالية وايحائية تنقل البيت الشعري من افق إلى افق واسع. نحاول في هذا الجانب معرفة المادة الاساس في شعر الزهريات وهي الالفاظ وكيفية اختيار الشاعر الاندلسي لها، ومعرفة ما تحمله تلك الالفاظ من سهولة وسلاسة في التركيب تنسجم مع طبائعهم ولين أخلاقهم، فجاءت الفاظ شعر الزهريات رقيقة تعبر عن جمال بيئتهم.

ومن الامور الواضحة في شعر الزهريات توافر عنصر الانسجام بين اللفظ والمعنى، وذلك باستخدام الفاظ وتراكيب خاصة تتناسب والموقف الذي ينظم فيه الشاعر، فقد استطاع الشاعر الاندلسي أن يحدث تجاوبا وتفاعلا بين بيئته الجميلة بعناصرها الطبيعية (الارض، والانهار، والاشجار، والازهار، والحدائق) وخيال الشاعر الذي راح يبتكر صياغات لغوية جديدة ويلتقط مفردات وكلمات من محيطه الواقعي ليوظفها توظيفا شعريا جديدا يسمو بها عن واقعها اللغوي العادي ويدخل بها في فضاء الشعرية ويمنحها القدرة على اثاره الخيال، فابن حمديس يلتقط مفردة (الحديقة) و(الندى) و(النوار) و(تفتح الورد) وكلها مفردات تنتمي لمعجم الطبيعة ليدخلها في سياق شعري يمدح به المعتمد بن عباد، وقد لاعم الشاعر بين صفات الممدوح وجمال الزهريات وهو يمدح المعتمد بن عباد واصفاً كرمه وسخائه بحديقة متفتحة بالزهر تفوح منها رائحة المسك اذ يقول:-

وفي كل ارض من نداءه حديقة تضع مسكاً نورها وتفتحها
عطاؤك يعفو المحل صوباً فعينه تخط على اثاره كل ما محا^(٢)

وكذلك يستعمل ابن اللبانة مفردة (زهرة، ربي) في مدح المعتمد بن عباد وهو يشيد بعظيم اخلاقه التي شابتهت الزهر المتفتح:-

يلقى الكماء فتنتشي مذعورة فكأنه اسد يمر على ظبي
راقت على عليائه ادابه فكأنها زهر تفتح في ربي^(٣)

(١) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ابن الاثير، ١٦٨/١، تحقيق الدكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، ط١، ١٩٥٩.

(٢) ديوان ابن حمديس، ١١٠.

(٣) شعر ابن البانة الداني، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، ١٥، منشورات جامعة البصرة، طبع بمطابع جامعة الموصل، ١٩٧٧.

يمكن أن نعد دخول الفاظ الزهريات في هذه الامثلة وما يشابهها في (غرض المدح) علامة جديدة في الشعر العربي وهي علامة تميز لغة الشعر الاندلسي عن لغة الشعر المشرقي.

ولم تقتصر دخول مفردات الزهريات على غرض المدح فحسب بل امتد ليشمل بقية الاغراض، فهذا ابن حمديس يتغزل فيجمع بين (النرجس) وعيون المحبوبة وبين (لون الورد) ولون خد المحبوبة في علاقة لغوية قوامها التشبيه، إذ يقول:

أذابل النرجس في مقلتيك ام ناضر الورد على وجنتيك^(١)

فضلا عن استعمال اسلوب الاستفهام بما يحمله من دلالة الادهاش والانفعال النفسي والعاطفي.

ومن صور الاستفهام استخدام الاداة (اين)، من ذلك قول ابن زيدون:-

اين ايامنا؛ واين ليال كرياض لبسن افواف زهر^(٢)

استخدم الشاعر اسلوب الاستفهام (اين) لتحقيق المعنى الذي اراده في تذكر الايام التي قضاها مع الممدوح، والتي اصبحت كحديقة تحوي اوراق الازهار الذابلة.

وقد يستثمر الشاعر اسلوب الشرط بما فيه من قدرة على تعدد زوايا النظر وتشكيل الصور المتنوعة بالشكل الذي يحرك الخيال ويجبر القارئ على التأمل وهو يتابع الفاظ مألوفة في بيئة شعرية غير مألوفة يحاول فك شفرتها والتعرف على دلالتها.

فهذا ابن حمديس قد استطاع توظيف أداة الشرط (إذا) في تقديم صورة رائعة في جمال الأزهار :-

يريك حديقة من ياسمين تفتح وسطها له جناار

إذا فتح المزاج للون منها مضى ورد لها واتى بهار^(٣)

ومن ادوات الشرط التي استثمرها شعراء الاندلس في وصفهم للزهريات (لو) التي تشكل فاصلة بين صورتين او حالتين، تكون الاولى احتمالية افتراضية، والثانية استنتاجية، وفي كلتا الحالتين لا تجري العلاقة اللغوية إلا عبر الخيال الشعري الذي يمنح لغة الشعر طاقة دلالية كقول ابن الزقاق:-

شهدت بان الورد لو اعطى المنى تمنى من الورد خدا موردا

ولو خير الريحان لاختار صدغه وان اصبح الريحان يحكي الزرجدا^(٤)

اما الاسلوب الاخر الذي اعتمده الشعراء في وصفهم للزهريات، هو اسلوب النداء، وكانت (يا) اكثر ادوات النداء استعمالاً، نظراً لما تتمتع به من سمات اسلوبية ميزتها عن بقية الادوات، وقد استعان شعراء الاندلس بها لتحفيز ذهن المتلقي، ومن هؤلاء الشعراء ابن حمديس في رثاء باقة ورد ذابلة، إذ يقول:-

يا باقة في يميني للردى بدلت اذاب قلبي عليك الحزن والاسف

(١) ديوان ابن حمديس، ٣٤٥.

(٢) ديوان ابن زيدون، ٢١٦.

(٣) ديوان ابن حمديس، ٢٣٧.

(٤) ديوان ابن الزقاق، ١٣٩.

الم تكوني لتاج الحسن جوهرة
لما عرفت فهلا صانك الصدف (١)

وقد افاد الشاعر الاندلسي من (اداة النداء) مع الفاظ الزهريات لما فيها من طاقة دلالية تقوم على (تشخيص) الزهريات وتمنحها القدرة على الحركة، وتبث فيها الحياة وتدخلها في علاقات لغوية جديدة تجعل منها شخصا يسمع ويلتفت وينادى عليه ويخاطب وغيرها من السمات التي يمنحها الشاعر لها.

فضلا عن ما يكشفه (اسلوب النداء) من تفاعل نفسي وعاطفي بين الشاعر ومفردات الزهريات عندما يجعل منها (منادى) يوجه الخطاب الشعري اليها وهو يستذكر أو يعاتب أو يشكو وهذا ما يمكن أن نعهده تطورا في لغة الشعر التي استبدلت (الصاحب) أو (الصاح) بلغة الترخيم في الشعر المشرقي أو (اسماء الاشخاص المذكورة والمؤنثة) والتي تدل على اشخاص حقيقيين بشخصيات مجازية (باقة، روضة) وغيرها. كما نرى ذلك في قول ابن زيدون:

ياروضة طالما اجنت لواظنا
وردا جلاه الصبا غضا ونسرنا
ويا حياة تملينا بزهرتها
منى ضروبا ولذات افانينا (٢)

يتضح لنا مما تقدم ان اساليب الاستفهام والشرط والنداء، التي وردت في شعر الزهريات عصر الطوائف والمرابطين، كان لها اثر كبير في المعنى الذي اراد الشاعر إظهاره في ممدوحه، فحاولنا بيان اثر هذه الأساليب على المعاني والصور التي عبر فيها الشعراء عن جمال بيئتهم، والتي تعد الزهريات من ابرز ملامحها.

٢ - الصورة الشعرية:-

اهتم النقاد العرب القدامى والمحدثين بالصورة الشعرية اهتماماً كبيراً، فهي الوسيلة التي يحاول بها الاديب نقل فكرته وعاطفته معا الى الاخرين (٣)، وهي لاتقف عند حدود الرؤية البصرية، او ما يدرك بالحواس الاخرى، بل تتعد الى النواحي النفسية والعقلية بالاضافة الى ما تعرف عليه القدماء من صور تقوم على اساس معطيات فنون بلاغية، وقد تفنن شعراء الاندلس في رسمها لاطهار جمال بيئتهم من خلال استخدامهم للاساليب البيانية ويأتي في مقدمتها التشبيه الذي يعد من أكثر الفنون البيانية استخداماً في كلام العرب بصورة عامة وفي شعر الزهريات بصورة خاصة، وقد استخدم شعراء الاندلس هذا الفن في رسم صورة شعرية للزهريات وانواعها.

ومن الشعراء الذين استثمروا هذه الصور ابن الزقاق فنراه يشبه صورة الورد الاحمر المنثور على وجه الماء بالدم السائل على درع البطل، اذ يقول:-

نشر الورد في الغدير وقد
رجه بالهبوب نشر الرياح
مثل درع الكمي مزقها الطعن
فسالت به دماء الجراح (٤)

ولم يكتف شعراء الأندلس بالصور التقليدية للزهريات، وانما جاءت بعض صورهم مبتكرة، فمن ذلك قول

ابن حمديس وهو يصف الشقيق:-

(١) ديوان ابن حمديس، ٢١٥.

(٢) ديوان ابن زيدون، ص ١٤.

(٣) ينظر: اصول النقد الادبي، احمد الشايب، ٢٤٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤.

(٤) ديوان ابن الزقاق، ١٣١.

نظرت الى حسن الرياض وغميها
فلم عيني بينها كشقائق
جرى دمه منهن في أعين الزهر
تبايلها الأرواح في القضب الخضر
كما مشطت غيد القيان شعورها
وقامت لرقص في غلائلها الحمر^(١)

ابدع الشاعر في وصف زهرة الشقيق في استوائها وانتظامها بشعور الجواري المشطية وهن يرقصن في غلائل حمر.

واستعان شعراء الأندلس في وصفهم للزهريات بالاستعارة، من ذلك قول ابن حمديس في وصفه للنيلوفر:

ونيلوفر اوراقه مستديرة
تفتح فيما بينهن له زهر
كما اعترضت خضر التراس وبينها
عوامل ارماع اسنتها حمر^(٢)

استعار الشاعر الفاظ الحرب والنزال في وصفه لزهرة النيلوفر اذ وصف النيلوفر بخضر التراس وبينها عوامل الارماح وجعل اسنتها حمر من كثرة القتال، وهذا يدل على تمسك الشاعر بالآت الحرب، ولم يكتف الشاعر بوصف المظهر الخارجي لها وانما مزجها بمشاعره واحاسيسه، حينما جعلها شبيهة له في الغربة والبعد عن الوطن.

وكذلك قول ابن زيدون وهو يمدح ابا الوليد بن جهور:-

بعيد منال الحال، داني جنى الندى
اذا اذكرت اخلاقه خجل الورد^(٣)

استعار الشاعر صفة من صفات الانسان وهي الخجل للورد، ليتمكن من تعظيم صفات ممدوحه، فهو سامي الخصال، قريب السخاء، ترق سجاياه، فاذا ذكرت اخلاقه خجل الورد.
وكذلك قول ابن الزقاق:-

ورياض من الشقائق اضحت
زرتها والغمام يجلد منها
يقل ما ذنبها قلت مجيباً
يتهادى فيها نسيم الرياح
زهرات تروق لون الراح
سرقنت حمرة الخدود الملاح^(٤)

ان الشاعر هنا خلق صورة مبتكرة حينما جعلها ترتكز على حادث سرقة، فالشقائق قد سرقنت حمرة الخدود مما جعلها تستحق العقاب بالجلد بسياط المطر الغزير.

فضلاً عن التشبيه والاستعارة، استعان شعراء الاندلس في وصفهم للزهريات بالكناية في المواضع التي يحتاجون اليها، من ذلك قول ابن خفاجة وهو يصف زهرة كلف بها:-

أرأيت أي بنيمة،
اهدى الريع صغيرة
تعزى الى الروض النضير
منها، تهش الى الكبير

(١) ديوان ابن حمديس، ٢٣١.

(٢) المصدر نفسه، ١٨٥.

(٣) ديوان ابن زيدون، ٢٢٨.

(٤) ديوان ابن الزقاق، ١٢٥.

فلثمتها كلفا بها، والشـيخ يكلف بالصغير (١)

حاول الشاعر اظهار تعلقه بهذه الزهرة، فعدل عن التصريح المباشر الى الاشارة والكناية، حينما كنى عنها بلفظة (بنية)، ليظهر تعلقه الكبير وشغفه بها.

٣ - الموسيقى الشعرية:-

الموسيقى عنصر مهم من عناصر الابداع الفني، لذلك فقد اهتم الشعراء القدامى بالجانب الصوتي وجعلوه عاملاً مهماً في البنية العامة للقصيدة، وانتقوا اليه بوسائل عديدة، كالوزن والقافية وانماط الحروف الصوتية المتعاقبة، فالاصوات غنية بالقيم الترابطية والتعبيرية، التي يستطيع الفنان استغلالها للتعبير عن افكاره وذلك ((ان خير الموسيقى ما تتمشى مع الافكار وتتساق مع المعاني وتتجاوب نغماتها ونبراتها مع حالات النفس...))^(٢).

يتضح من خلال قراءة شعر الزهريات عصر الطوائف والمرابطين ان الشعراء نظموا في اغلب بحور الشعر العربي دون اختصاص بحر ما بموضوع دون غيره، بل ان كل بحر يمكن ان ينظم فيه الشعراء ما يعثريهم من مشاعر .

ويأتي البحر الطويل في المرتبة الأولى للكلم الهائل من الأبيات الذي نظمت فيه، ولا غرابة في ذلك فهو بحر ((حبيب الصدر، طويل النفس، فان العرب قد وجدت فيه مجالاً اوسع للتفصيل في داخل نطاق التلميح والإشارة مما كانت تجد في غيره من الاوزان))^(٣) ان استخدام هذا البحر من انسب البحور صلاحية لقدرة هذا البحر وامكاناته الايقاعية، وما تميزت به تفعيلاته من رحابة وسعة.

فهذا ابن زيدون، قد افاد من الطويل في تفعيلاته الواسعة وقدراته الايقاعية، في مدح ابي الحزم بن جهور:-

تغلغل في سمع الرباب وطالعت	له صورة لم يعم عن حسنها الخلد
مساع أجدت زينة الارض فالحصى	لألئى نثر والثرى عنبر ورد
لدى زهرات الروض عنها بشارة	وفي نفحات المسك من طيبها وفد ^(٤)

ويأتي البحر الكامل في المرتبة الثانية بعد الطويل في شعر الزهريات، ويعد من ((اكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله - ان اريد به الجد- فخماً جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله ان اريد به الى الغزل وما بمجره من ابواب اللين والرقة، حلوا مع صلصة كصلصة الاجراس، ونوع من الابهة يمنعه ان يكون نزفاً او خفيفاً شهوانياً))^(٥).

وهذا ما فعله محمد بن عمار الذي استثمر هذا البحر وما تميز به في مدح المعتضد بالله:-

(١) ديوان ابن خفاجة، ١٢٠.

(٢) الاصول الفنية للشعر الجاهلي، احمد اسماعيل شلبي، ١١٥، مكتبة غريب، ط٢، القاهرة، ١٩٨٢.

(٣) المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، ٣٧/١، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٧٠.

(٤) ديوان ابن زيدون، ٢٣٠.

(٥) المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، ٢٤٦/١.

رشاً ولكن القلوب عراره
دمعي فيندي رنده وبهاره^(١)

غصن ولكن النفوس رياضه
وبجود روض الحسن من وجناته

ومن البحور الاخرى الاكثر استخداماً البسيط، فهو يتسع لاكثر الموضوعات، ويمنح الشاعر فرصة للفادة مما يتخلل تفعيلاته من شدة وارتخاء، للتعبير عما يريد الافصاح عنه، من ذلك قول ابن زيدون يذكر ولادة وينشوق اليها:-

كما شققت عن اللبات اطواقا
بتتالها حين نام الدهر سراقا
جال الندى فيه حتى مال اعناقا^(٢)

والروض عن مائه الفضي مبتسم
يوم كأيام لذات لنا انصرمت
نلهو بما يستميل العين من زهر

تعتمد القافية كغيرها من وسائل الاداء التعبيري، على الامكانيات اللغوية المتاحة. فتحقق بواسطتها اثرها الصوتي في النفس، ذلك ان القافية: "هي كالفاصلة الموسيقية يتوقع السامع تكرارها في فترات منتظمة"^(٣). والقافية منتظمة"^(٣). والقافية على نوعين:

القافية المقيدة: وهي ما كان اخرها ساكناً، ونجد انها لا تشكل نسبة كبيرة في شعر الزهريات، وذلك لان هذا النوع من القافية قليل الشيوع أما القافية المطلقة فهي ما كان آخرها متحركاً وهي من اكثر القوافي شيوعاً في الشعر العربي بصورة عامة وفي شعر الزهريات بصورة خاصة.

وفي سياق الحديث عن القافية لابد من الإشارة إلى حرف الروي وبيان مدى اهميته للقصيدة، فالروي (هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وتنسب اليه)^(٤)، وقسم إلى ثلاثة اقسام (الذلل)^(٥)، النفر^(٦)، الحوش^(٧).

فحرف (الراء) كان من اكثر الحروف استخداماً من قبل الشعراء، وذلك بسبب كون الراء من الحروف المجهورة، التي تساعد على شد انتباه المتلقي، ولهذا جاء حرف الراء من اكثر الحروف انسجاماً مع الاشعار التي صورت جمال الطبيعة الاندلسية، من ذلك قول ابن حمديس، الذي استثمر الراء المضمومة في مدح احمد بن عبد العزيز ويهنته بدخول العام:-

نرجس ذابل وورد نضير
لنقاب النقا عليه خفير

فثناني من روض حسنك عنها
وشقيق يشق عن اقحوان

(١) محمد بن عمار، ٢٢١.

(٢) ديوان ابن زيدون، ٥١.

(٣) فن التقطيع والقافية، صفاء خلوصي، ٢١٥، ط٣، بيروت، ١٩٦٦.

(٤) الوافي في العروض والضرب، الخطيب التبريزي، ٢٢١، تحقيق عمر يحيى وفخر الدين قباوة، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٩٧٥.

(٥) الذلل: هي الباء والتاء والذال والراء، والعين والميم واللام والياء المتبوعة بالف الاطلاق. المرشد: ٤٤/١.

(٦) النفر: هي الصاد والزاي والضاد والطاء والهاء الاصلية والواو. المرشد: ٦٣/١.

(٧) الحوش: هي التاء والحاء والذال والشين والطاء والغين. المرشد: ٦٣/١.

واريج على النوى منك يسري ويجيب النسيم منه عبير (١)
ويستأثر حرف (اللام)، بالمرتبة الثانية في اشعار الزهريات، ويبدو ان لحرف اللام عند الشعراء مرونة جعلتهم يتخذونه في الفخر والرثاء والمدح والغزل، كما في قول ابن خفاجة في وصف الرياض والازهار:-
ومهب نفحة روضة مطلولة، في جاهتيها، للنسيم، مجال
غازلته، والاقحوانة مبسم، والآس صدغ، والبنفسج خال (٢)
اما الباء فهي من الحروف التي طغت على اشعار الزهريات، منها قول ابن خفاجة:-
فتق الشباب، بوجنتيها، وردة، في فرع اسحلة تميد شابا
وضحت سوافل جيدها سوسانة، وتوردت اطرافها عابا (٣)
ويأتي حرف (الدال) ايضاً منسجماً مع وصف الطبيعة، فهذا ابن زيدون قد استخدم حرف الدال في مدح
ابي الحزم بن جهور:-

تغلغل في سمع الرباب وطالعت له صورة لم يعم عن حسنها الخلد
مساع اجدت زينة الارض فالحصى لآلى نثر والثرى عنبر ورد
لدى زهرات الروض عنها بشارة، وفي نفحات المسك من طيبها وفد (٤)

هذا ما استطعنا الوقوف عليه من القوافي التي شاعت في شعر الزهريات في عصر الطوائف والمرابطين، وقد حاولنا الوقوف على اكثر القوافي شيوعاً واستخداماً في اشعارهم، كما نلاحظ ان اكثر حروف الهجاء قد استخدمت رويماً من قبل الشعراء في وصف الزهريات ولا غرابة في ذلك فان الزهريات قد دخلت في معظم الاغراض الشعرية من مدح، وغزل، ورثاء، وعتاب..
والملاحظ ايضاً ان (الراء، واللام، والباء، والدال)، هي من اكثر الاصوات العربية في استعمالات الشعراء رويماً لقصائدهم، وعند عامة شعراء العربية.

الموسيقى الداخلية:

هي المظهر الثاني في عملية التشكيل الاليقاعي للشعر ويعد نمطا ابداعيا يرتبط بقدرات الشاعر وتمكنه من اللغة وتسخيرها لتوليد ايقاعات متنوعة لتتنوع الاساليب البلاغية المستخدمة من تكرار وتقفيه،... الخ.

١ - التكرار:

يعد التكرار من ابرز صور التناسق الجمالي بين ظواهر الاشياء الذي يولد انسجاماً صوتياً بين الوحدات الجزئية المكونة للكل والتكرار هو (تناوب الالفاظ واعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده

(١) ديوان ابن حمديس، ٢٤٤.

(٢) ديوان ابن خفاجة، ١٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ٢٩.

(٤) ديوان ابن زيدون، ٢٣٠.

الناظم في شعر أو نثره^(١)، وسنحاول الوقوف على ظاهرة التكرار في شعر الزهريات بصوره العديدة مما ورد من من تكرار الحروف قول ابن الزقاق، إذ يقول:

والروض اهـدى لنا شقائقه وأسسه العنبري قد نفحنا
قلنا واين الاقحاح قال لنا اودعته ثغر من سقى القدحا^(٢)

في هذه الابيات توافقا نغما بين حروفها عن طريق تكرار حرف القاف في البيت الأول مرتين وفي البيت الثاني خمس مرات، وهذا يفيد في تقوية جرس الالفاظ في التعبير عن الصورة الجمالية للزهار، لان حرف القاف من الحروف الشديدة المجهورة، فضلا عن كونه من حروف القلقة أيضاً، وهذه الخواص جعلته ذاذبذبات عالية ونبرات قوية افادت اظهار الجانب الجمالي للطبيعة من رياض وازهار.

أما حرف السين فهو حرف مهموس وقد جاء تكراره في قول ابن خفاجة:

تحملها، حمل السفير، بنفسج تحمله، حمل السريرة، سوسان^(٣)

فتكرار حرف السين في البيت الأول اربع مرات اضفى على المعنى جرساً منغماً، إذ ان تكرار حرف السين كان اشبه بالصفير، فضلا عن تكرار لفظة (حمل) و(تحمل) فحقق بذلك تجانسا صوتيا وتنغيمافاد توكيد المعنى الجمالي للزهريات.

ومما ورد من تكرار اللفظة بعينها، قول ابن حمديس:

تعقل الطرف أزهير به ثم تعطيه أزهير صراح^(٤)

فقد كرر الشاعر لفظة (أزهير) مرتين فحقق التكرار وحدة صوتية متناغمة لتأكيد المعنى الجمالي للزهريات وتقويته.

٢ - التقفية:

فهي (أن يتساوى الجزءان من غير نقص ولا زيادة، فلا يتبع العروض الضرب في شيء إلا في السجع خاصة)^(٥)، ومما ورد في مطالع القصيدة من التقفية، قول ابن حمديس:

أذابل النرجس في مقلتيك أم ناضرُ الورد على وجنتيك^(٦)

وقوله أيضاً في قصيدة اخرى:

ترى نرجس الاجفان منه كلائم يشير إلى مافي أقحاح المباسم^(٧)

(١) جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ٢٣٩، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠.

(٢) ديوان ابن الزقاق: ١٢٤.

(٣) ديوان ابن خفاجة: ٢٣١.

(٤) ديوان ابن حمديس: ٨٤.

(٥) العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ١٧٣/١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥،

ط٥، بيروت، ١٩٨١.

(٦) ديوان ابن حمديس: ٣٤٥.

(٧) المصدر نفسه: ٤٤٤.

تبين مما تقدم حرص الشاعر الأندلسي على تحقيق التجانس الصوتي عن طريق التكرار والتقنية وبوساطتهم يحدث الشاعر ايقاعاً داخلياً من خلال التناسق والانسجام بين ابيات القصيدة ليظهر جمالية الازهار .
الخاتمة

أخذت الدراسة طريقها نحو الخاتمة، بعد ان تناولت موضوع (الزهريات في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين)، دراسة موضوعية تناولت الزهريات وأنواعها تستند إلى تحليل نفسية الشعراء داخل عدد من الموضوعات التي اشتهر الشعراء الأندلسيون في طرقها، وفنية تميزت بدراسة تطبيقية لعدد واف من نصوصها في بعض الفنون البلاغية، فكان لا بد من الاشارة الى اهم النتائج التي توصل اليها هذا البحث:-

١. الطبيعة غرض قديم، اذ تناول الشاعر في العصر الجاهلي الطبيعة في اشعاره، فوصف الصحراء، والرمال، والحيوان..، ثم استمر الشعراء على هذا المنوال حتى العصر العباسي، اما في العصر العباسي فقد تطور وصف الطبيعة عندهم بسبب الحياة المترفة واللاهية، فوصف الشعراء الطبيعة بجانبها الحية والصامته من حيوان، ورياض، وجبال، وقصور.

اما في الاندلس فكان للطبيعة مكانة متميزة في اشعارهم، وذلك لطبيعة بلادهم وافتنانهم بها، فنلاحظ ان شعراء الاندلس فاقوا شعراء المشرق بغزارة هذه المادة وتنوعها.

٢. اثبت البحث ان الزهريات نالت اهتمام شعراء الاندلس، فوقفوا على انواعها والوانها من (اقحوان، الخيري، النيلوفر، النرجس، الياسمين، الشقيق، البنفسج، السوسن، البهار).

٣. دخلت الزهريات في معظم الاغراض الشعرية من مدح وغزل ورثاء وعتاب، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر منها، فكثيراً ما كان يمزج الشاعر بين محاسن المرأة والزهريات، فيرى شعراء الاندلس في الزهريات ملامحاً لحبيب او صفات لممدوح.

٤. اما بالنسبة الى الدراسة الفنية، فقد توصل البحث الى ان اللغة التي استخدمها الشعراء في وصفهم للزهريات، اتسمت بركة الالفاظ وسلاسة التراكيب التي تبعث في النفس رونقاً وجمالاً مما جعلها بعيدة عن الغموض والتكلف.

اما الاساليب فقد استخدم الشعراء اسلوب الاستفهام والشرط والنداء، لما في هذه الاساليب من قدرات على تهيئة ذهن المتلقي على ادراك المعنى الذي يريد ان يعبر عنه الشاعر.

٥. جاء شعر الزهريات ضمن قصائد الغزل، والمديح، والرثاء، ولم يأت وصفها مستقلاً بذاته بقصائد طوال.

٦. وعلى مستوى الصورة الشعرية، فيؤشر البحث الى اكتشاف الشاعر لعلاقات لغوية جديدة لتشكيل الصور الفنية عمادها الفاظ الطبيعة (الازهار) مما وسع من دائرة الصورة الفنية التشبيهية والاستعارية وحتى الكنائية وهي تفتتح على عالم جديد (عالم الطبيعة)، بكل ما فيه من صور حسية زادت من ثراء الجانب الدلالي، فجاءت تلك الصور تعبيراً صادقاً لمشاعر الاندلسيين وهم يصفون الزهريات.

٧. اما موسيقى الشعر فكان لها اهمية كبيرة في شعر الزهريات، وقد تناولنا في بحثنا بحور الشعر التي استخدمها الشعراء بكثرة في شعر الزهريات، اثبت البحث ان شعراء الزهريات قد نظموا في معظم بحور

الشعر العربي، إلا أن البحور الأكثر استخداماً هي (الطويل، والكامل، والبسيط)، ولعل ذلك يعزى إلى طبيعة الأوزان التي تتألف منها هذه البحور، ولكونها تصلح للمدح والغزل والثناء.

أما بالنسبة إلى القوافي فقد جاء أكثرها على القافية المطلقة، أما حروف الروي التي استخدمت بكثرة في أشعارهم هي (الراء، واللام، والباء، والذال)، لما لهذه الحروف من تأثير على النفوس، فالشاعر كان يستخدم الحروف التي تتناسب مع الغرض.

فضلاً عن الموسيقى الداخلية من تكرار وتقفية، مما أضيف عليها تناغماً جميلاً يتناسب مع موضوع الزهريات.

المصادر والمراجع

١. ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث، بطرس البستاني، دار المكشوف ودار الثقافة، ط٦، بيروت، ١٩٦٨.
٢. الادب العربي في الاندلس (تطوره- موضوعاته واشهر اعلامه)، د. علي محمد سلامة، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، ١٩٨٩.
٣. الاصول الفنية للشعر الجاهلي، احمد اسماعيل شلبي، مكتبة غريب، ط٢، القاهرة، ١٩٨٢.
٤. اصول النقد الادبي، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤.
٥. جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠.
٦. ديوان ابن حمديس، تحقيق د. احسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٠.
٧. ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت.
٨. ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤.
٩. ديوان ابن زيدون، تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨.
١٠. ديوان الحكيم ابي الصلت امية بن عبد العزيز الداني، تحقيق محمد المرزوقي، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ١٩٧٩.
١١. ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق احمد احمد بدوي، وحامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٥١.
١٢. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، تحقيق د. احسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس.
١٣. شعر ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، منشورات جامعة البصرة، طبع بمطابع الموصل، ١٩٧٧.
١٤. العمدة في محاسن الشعر وادابه ونفده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، بيروت، ١٩٨١.
١٥. الفتن والحروب واثرها في الشعر الاندلسي من سقوط الخلافة الى سقوط غرناطة، د. جمعة شيخة، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٧.
١٦. فن التقطيع والقافية، صفاء خلوصي، ط٣، بيروت، ١٩٦٦.
١٧. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ابن الاثير، تحقيق د. احمد الحوفي ود. بدوي طبانة، ط١، ١٩٥٩.
١٨. محمد بن عمار، د. صلاح خالص، مطبعة الهدى، بغداد، ١٩٥٧.
١٩. المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٧٠.
٢٠. نظرية الادب، اوستن وارين ورينيه ويلك، ترجمة: محيي الدين صبحي، مطبعة خالد الطرابيشي، ١٩٧٢.
٢١. الوافي في العروض والضرب، الخطيب التبريزي، تحقيق عمر يحيى وفخر الدين قباوة، ط٢، دار الفكر، ١٩٧٥.

Abstract

This research is entitled “The **canditufts in Almoravids and Taifa Eras Andalusian Poetry (Artistic Subjective study)**”. The canditufts is one of the themes that got the attention of Andalusian poets. It was included in all their poems (praise, love, , elegy and admonition). The poet always blended the charms of women and canditufts. The poets of Andalusia saw in canditufts as features of their beloved ones or the appraised. Their interest has been great that they described its colours and types. We notice that Andalusian poets exceeded the oriental counterparts in the variation and surplus of that material.

the artistic study included the poetic language which was characterized by softness of words, and easiness of structure that produce softness and fineness.

On the poetic level, the poet revealed new linguistic relationships to form the artistic image the basis of which the natural diction “flowers.” These images were true expression of the Andalusian poets’ feelings while describing candituft flowers.

The music of poetry had also special importance in the candytuft poetry. They wrote in most of the feet of Arabic poetry, but three feet dominated them (the Long, Perfect and the simple)feet.

For rhyme, it was absolute rhyme and the most employed by candytuft poetry.

In addition to that internal music in repetition and rhyming that added a touch of homogeneity suitable with the candytuft topic.